دور الصين المتنامى فى الشرق الأوسط فى ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية الجديدة

سحر عبد الرحيم
مدير تحرير دورية آفاق عربية

الملخص:

في ضوء تطورات الأحداث السياسية والتغيرات الدولية والإقليمية التي شهدتـــها المنطقة العربية، بات من المؤكد أن الصين ترغب فى تحقيق أهداف محورية سياســية واقتصادية في منطقة الشرق الأوسط في ظل اشتعال المنطقة بالأزمات والاضطرابـــات وفشل السياسة الأميركية في التوصل لانهائها من جهة واشتعال الحرب الـــروســـية الأوكرانية دون وجود سقف محدد لنهايتها من جهة أخرى.

حيث تقوم استراتيجية الصين فى منطقة الشرق الأوسط على التأكيد علي التنميـــة كحل لمشكلات المنطقة وتطبيق نموذج تنموى يحتذى به، والتركيز علي الشراكة وليس التحالفات، وإدراك حقيقة هامة مفادها : كلما زادت الصين من دورها في المنـــطـــقـــة العربية ومحيطها الإقليمى كلما زاد تأثيرها العالمي، هذا ما تسعى الصين لتحقيقه بكـــل إمكانياتها وقدراتها، كما أن التغير الهائل الذى أحدثه الحرب الروسية الأوكرانية فـــى موازين القوى الدولية، بالتزامن مع تواجد اقتصادى صينى متزايد أدى إلى انخراطهـــا على نطاق أوسع مع دول المنطقة بطرق قد تؤثر بشكل كبير على المصالح الأوروبيـــة والأمريكية، وهو ما ينبئ بتغييرات كبيرة فى التنافس الدولى والإقليمى على المنطقـــة خاصة مع أفول نجم القارة الأوربية العجوز وتراجع الهيمنة الأمريكية إذا أضفنا لكـــل ذلك انطلاق مشروع الحزام والطريق نجد أن بكين ستصبح عاجلاً أم آجلاً القوة الأكثر تأثيراً في السياسات العالمية والإقليمية .

Abstract:

In light of the developments of political events and the international and regional changes that the Arab region has witnessed, it has become certain that China desires to achieve pivotal political and economic goals in the Middle East in light of the region's ignition of crises and turmoil and the failure of US policy to reach its end on the one hand and the outbreak of the Russian-Ukrainian war without a ceiling On the other hand, definite.

China's strategy in the Middle East is based on emphasizing development as a solution to the region's problems, applying a development model to be followed, focusing on partnership, not alliances, and realizing an important fact that: the more China increases its role in the Arab region and its regional surroundings, the greater its global influence. China to achieve it with all its capabilities and capabilities, and the huge change brought about by the Russian-Ukrainian war in the international balance of power, in conjunction with an increasing Chinese economic presence, led to its wider engagement with the countries of the region in ways that may significantly affect European and American interests, Which foretells major changes in the international and regional competition in the region, especially with the decline of the star of the old European continent and the decline of American hegemony, If we add to all this the launch of the Belt and Road project, we find that Beijing will sooner or later become the most influential force in global and regional politics.

مقدمة :

تسعى الصين لتحقيق أهدافها في منطقة الشرق الأوسط من خلال استخدام سياسة التوازن في علاقاتها مع الجميع واستخدام سياسة القوة الناعمة لتحقيق أهدافها ومصالحها في المنطقة فهي دولة لها مصالح اقتصادية وسياسية ومن حقها الحفاظ عليها، والمتتبع لعلاقات الصين بدول الشرق الأوسط يلاحظ أنها معقدة ومتداخلة بل ومتناقضة فى بعض الأحيان، فالصين تقيم علاقات مع إسرائيل وتدعم الشعب الفلسطيني وتقيم علاقات قوية مع إيران وفي الوقت نفسه علاقات قوية مع السعودية

وهذا يفتح المجال لعدد من السيناريوهات والاحتمالات لمسارات العلاقات وتوازناتها وهو ما يندرج تحت استراتيجية بكين لـ"الموازنة الدقيقة".

تنتهج الصين سياسة خارجية تهدف لحماية استقلالها وسيادتها ووحدة أراضيها، وتوفير ظروف دولية جيدة للإصلاح والانفتاح، فضلا عن حماية السلم العالمي ودفع النمو المشترك وتشمل مضامينها الرئيسية: انتهاج سياسة خارجية مستقلة والمبادرة لبناء التعاون الدولى، عدم الانحياز إلى أي دولة كبرى أومجموعة دول،عدم الانضمام لأحلاف عسكرية، وعدم المشاركة في أي سباق تسلح عدم انتهاج أي توسع عسكري معارضة نزعة الهيمنة في العلاقات الدولية والعمل على حماية السلم العالمي، والدعوة إلى المساواة بين الدول سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، قوية أم ضعيفة، غنية أم فقيرة، وضرورة الحل السلمي للنزاعات والصراعات بين الدول من خلال التفاوض، بدلا من اللجوء إلى القوة أو التهديد بها.

في ضوء تطورات الأحداث السياسية والتغيرات الإقليمية والدولية التي شهدتها المنطقة العربية، بات من المؤكد أن الصين ترغب فى تحقيق أهداف محورية سياسية واقتصادية في منطقة الشرق الأوسط في ظل اشتعال المنطقة بالأزمات والاضطرابات وفشل السياسة الأميركية في حلها من جهة واشتعال الحرب الروسية الأوكرانية دون وجود سقف محدد لنهايتها من جهة أخرى.

ونستعرض في الورقة البحثية أبعاد العلاقات الصينية العربية ، ودور الصين المتنامى وعلاقتها بدول الشرق الأوسط فى ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية الجديدة المتمثلة فى انسحاب الولايات المتحدة من منطقة الشرق الأوسط، وانسداد أفق الملف النووى الإيرانى، والحرب الروسية الأوكرانية.

أولاً : أبعاد العلاقات الصينية العربية

تعد منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق حساسية في العالم نظراً لعدة عوامل استراتيجية كونها تحتوي على مصالح متشابكة أومتعارضة مع القوى الكبرى ومن بينها الصين، مما جعلها محل اهتمام وبؤرة التركيز الرئيسية لهذه القوى، كونها

تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي من النفط الخام إلى جانب العديد من المواد الخام الأخرى، كما تلعب دول المنطقة دوراً هاماً في إعادة توازن الاقتصاد الصيني مع الغرب، وقد استطاعت بكين خلال الآونة الأخيرة تطويرعلاقاتها مع الجانب العربي من خلال رؤى وتوجهات جديدة في مستوى التعاون وفى هذا الصدد يمكن الإشارة إلى أبعاد ثلاثة لتطور العلاقات الصينية العربية: اقتصادية، وسياسية، وأمنية .

١. البعد الاقتصادى

منذ بداية الصعود الصيني حظي العالم العربى بعلاقاتٍ اقتصادية وتكنولوجية وتنموية يمكن وصفُها بالمثالية مع الصين فقد زادت الصين من بصمتها الاقتصادية والسياسية في الشرق الأوسط لتصبح أكبر شريك تجاري ومستثمر خارجي للعديد من الدول العربية.

في عام ٢٠٢١ ، بلغ حجم التجارة الثنائية بين العالم العربي والصين ٣٣٠ مليار دولار، بزيادة قدرها أكثر من الثلث عن العام السابق. وتفتخر الصين في مبادرة الحزام والطريق بأكثر من ٢٠ شريكًا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، وقد وقعت بكين ١٥ اتفاقية "شراكة استراتيجية" مع الدول العربية في العقد الماضي وحده.

وأصبحت الصين مستورداً للطاقة بعد النمو الهائل في صناعاتها، ويشكل الطلب على الطاقة ومبادرة الحزام والطريق (BRI) أهم ركائز التعاون الصيني مع دول الشرق الأوسط، وقد تم إطلاق مشروع الحزام والطريق في عام ٢٠١٣ ويتضمن فرعين رئيسيين وهما "حزام طريق الحرير الاقتصادي البري" سكك الحديد والطرق عبر آسيا الوسطى وروسيا، و"طريق الحرير البحري" الذى يسمح للصين بالوصول إلى أفريقيا وأوروبا عبر بحر الصين والمحيط الهندي، وتتضمن المبادرة تشييد شبكات من السكك الحديدية، وأنابيب نفط وغاز، وخطوط كهرباء، وإنترنت، وبنىً تحتية بحرية. ما يعزز اتصال الصين بالقارة الأوروبية والإفريقية، وفي البحر، تركز المبادرة على بناء روابط بين الموانئ الرئيسية فى العالم، و من المقرر أن يتم الانتهاء من المشروع بحلول عام ٢٠٤٩ والذي سيتزامن مع الذكرى المئوية لتأسيس جمهورية الصين الشعبية.

حيث تعتمد الصين على الدول العربية فى إمدادات الطاقة بما يقارب ٦٠% من احتياجاتها لتحريك مصانع إنتاجِها الفائقة، ويشكل العالم العربى ركيزة جغرافية وقيمةٌ سوقيةٌ هامة لمشروعات الربط الاقتصادي الصيني العملاقة على المستوى الدولي، وتحديداً مبادرة "الحزام والطريق". ،حيث تظهر مراحل الطموح الصيني فى الهيمنة الاقتصادية على النظام الدولي، والتي هى بمثابة خطوة للوصول إلى الأهم وهى الهيمنة السياسية، وقد تمكنت الصين فى العقود الأخيرة من خلق نموذجٍ اقتصاديٍ صيني بديل للنموذج الغربى في المنطقة، والترويج له عبر عمليات التنمية في البلدان المتعثِرة ماليا، من خلال البنك الآسيوي للتنمية؛ الذي أصبحَ ينافس البنك وصندوق النقد الدوليين اللذان تهيمن عليهما الولايات المتحدة.

ولقد أبرز تطوير التكنولوجيات الفائقة مثل الجيل الخامس والبيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي والفضاء، إضافة إلى التجارة الإلكترونية، المزيد من فرص التعاون الاقتصادي بين الجانبين، وشهد التعاون الثنائي تحولا من التقليدي في مجال النفط والغاز؛ إلى الأخضر ومنخفض الكربون، حيث أن المنتجات الصينية والتقنيات الصينية والمعايير الصينية حظيت باعتراف متزايد في الدول العربية، حيث ساهمت في تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية المحلية بشكل فعال.

- <u>دول الخليج</u> :

تركز الصين فى علاقتها بالمنطقة على دول الخليج ، نظراً لدورها المهيمن في أسواق الطاقة، وتمتلك الصين رؤية لنظام متعدد الأقطاب في الشرق الأوسط يقوم على عدم التدخل في الدول الأخرى والشراكات معها. حيث ترى أن تعزيز الاستقرار فى أى دولة من خلال "السلام التنموي" يمكن أن يكون بديلاً للمفهوم الغربي المتمثل في "السلام الديمقراطي".

ومن ثم أدى تطور التنافس الاستراتيجي بين الصين والولايات المتحدة على مدار العقد الماضي إلى أن يصبح أهم بنوده الصراع للسيطرة على الاقتصاد الرقمي العالمي خاصة البنية التحتية الرقمية والمعلومات وأسواق تكنولوجيا الاتصالات، (ICT)

وأصبحت الصين رائدة عالمياً في بعض مجالات الاقتصاد الرقمي وبرز التعاون الاقتصادي الرقمي كعنصر متزايد الأهمية في علاقات الصين مع دول مجلس التعاون الخليجي ونقطة محورية في التنافس الاستراتيجي الصيني الأمريكي في الشرق الأوسط.

- المملكة العربية السعودية :

دخلت المملكة العربية السعودية والصين في شراكة استراتيجية شاملة في عام ٢٠١٦، تمت مراجعتها وتعزيزها بمرور الوقت، عززت الصين تعاونها في السنوات الأخيرة في بناء البنية التحتية مع المملكة العربية السعودية وتشارك الآن في مشاريع تجديد المسجد الحرام في المملكة، وبالاستفادة من موقعهما الاستراتيجي على الطريق البحري بين آسيا وإفريقيا وأوروبا ، حيث بدأت الرياض وأبو ظبي في تطوير البنية التحتية للموانئ بالفعل في نهاية القرن الماضي،ولهذا تركز استراتيجية أفق ٢٠٣٠ للمملكة العربية السعودية لتقليل اعتمادها على النفط وتنويع اقتصادها على جعل المملكة مركزاً إقليمياً للموانئ والنقل. ولهذه الغاية ، تقوم بتطوير موانئ الدمام في الشرق وجدة في الغرب. تربط الخليج الفارسي بالبحر الأحمر ، وتهدف إلى أن تصبح مراكز فائقة لشحن الحاويات. وتحول أبوظبي أيضاً ميناء جبل علي ودبي إلى مراكز لوجستية متعددة الأغراض.

وهكذا، وجدت بكين البلدين مستعدين للاندماج في مبادرة الحزام والطريق. تهدف الصين إلى زيادة قدرتها على استيعاب سفن الحاويات وتعتزم بناء منطقة صناعية ضخمة ومنطقة تجارة حرة حيث يمكن تصنيع البضائع المحلية والصينية وبيعها أو تخزينها في انتظار الشحن إلى الأسواق الغربية.

- مصر:

شاركت بكين أيضاً بشكل كبير في مشاريع مهمة في مصر، لا سيما في بناء العاصمة الإدارية الجديدة لمصر، حيث تقوم الشركات المملوكة للدولة في الصين ببناء منطقة الأعمال المركزية، كانت الصين تعيد توجيه علاقاتها الاقتصادية مع مصر

وتعززها في العقدين الماضيين ، ولدى الشركات الصينية مصلحة خاصة في مصر بالنظر إلى موقعها الاستراتيجي وقدرتها على العمل كمركز إقليمي مهم للتصنيع ،و تمكنت الصين من اختراق السوق المصري على نطاق واسع بعد فتح المنطقة الاقتصادية لقناة السويس، ولا تزال الصين أكبر مستثمر في مشروع تطوير منطقة قناة السويس ، وهو أهم طريق شحن لبكين إلى أوروبا.

فلقد استثمرت الصين أيضًا بكثافة في دول مثل العراق وسوريا ، خاصةً في مشاريع إعادة البناء،و أصبحت احتياطيات العراق من الطاقة وموقعها الاستراتيجي حاسمة بالنسبة للصين ، في حين أن العقوبات الأمريكية على سوريا دفعت دمشق إلى توسيع تعاونها مع بكين في تحد لقانون قيصر الأمريكي.

- <u>الحزام والطريق</u> :

في السياق الأكبر، أظهر مشروع مبادرة الحزام والطريق في الصين مصالح متقاربة مع المنطقة ويعزز تدريجيًا تعاونه مع المبادرات الهامة الأخرى التي تلبي الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة مثل رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، ورؤية عمان ٢٠٤٠، ورؤية قطر ٢٠٣٠، ورؤية الكويت. رؤية ٢٠٣٥، ورؤية مصر ٢٠٣٠، تعتبر خطة تطوير وتوسيع طريق الحرير البحري – الذي سيربط الصين بشكل أساسي بالبحر الأبيض المتوسط عبر بحر الصين الجنوبي والمحيط الهندي وقناة السويس ركيزة أساسية لمبادرة الحزام والطريق الصينية،حيث توفر نقاط الاختناق البحرية الاستراتيجية على طول طرق الشحن هذه مزيدًا من الزخم لبكين لضخ المزيد من الأموال في شكل استثمارات ومشاريع بناء البنية التحتية في الشرق الأوسط.

إجمالاً، انضمت لمبادرة الصين ٢١ دولة عربية في مشروع الحزام والطريق، الذي تبلغ تكلفته عدة تريليونات من الدولارات لإحياء طريق الحرير من أجل نقل سلعها وبيعها إلى أسواق أوروبا وأفريقيا، ويمر ثلثا صادراتها إلى هذه القارات الآن عبر البنى التحتية التي بنتها دول الخليج.

٢. البعد السياسى

سعت الصين عمليا لإبراز نشاطها في الشرق الأوسط واتخذت خطوات للتوسط في نزاعات الشرق الأوسط حيث عينت مبعوثين لها من أجل سوريا والقضية الفلسطينية وأجرت جولات دبلوماسية خلال العديد من الأزمات بين إيران والسعودية، ولكن تلك المبادرات كانت في الغالب جولات للحفاظ على نوع من التوازن بين الحلفاء، فعلى سبيل المثال عرضت التوسط بين النظام السوري و المعارضة لكنها بقت على علاقة وثيقة بالنظام.

حيث تكافح بكين للحفاظ على مبدأها "عدم التدخل فى شئون الدول" خاصة مع نمو المصالح الصينية في المنطقة المضطربة، ولكن إذا سرعت الولايات المتحدة من انسحابها الواضح من الشرق الأوسط فإن ذلك قد يجبر الصين على حماية هذه المصالح بنفسها، وتعزيز وجودها السياسي والأمني في المنطقة، وقد يؤدى تعميق انخراط الصين فى علاقات اقتصادية وسياسية مع دول على طرفى الخصومات لادخالها نزاعات لا علاقة لها بأهدافها الأساسية من التواجد فى المنطقة.

وتشير الشواهد إلى أن السمة العامة للعلاقات العربية الصينية هي السمة السلمية التى تخلو من نزعة التدخل العسكري أو وجود قواعد ارتكاز عسكرية نشطة للصين في المنطقة العربية، كما أنها ليست ضمن الدول الأعلى في مبيعات السلاح لدول المنطقة، وترتبط الصين بعلاقات تاريخية متميزة مع العالم العربى بحكم التقارب الجغرافي، وحركة التجارة المتواصلة منذ قرون بين الجانبين، وقد ساهمت الصورة الذهنية الإيجابية لدى العرب عن الآسيويين بشكل عام والصينيين بشكل خاص فى تطوير هذه العلاقات وجعلها أكثر يسراً .

في الوقت الذي تعمل فيه الولايات المتحدة الامريكية على إضعاف الدول التي تتعامل معها لتمرير سياسات واشنطن بالمنطقة، تعمل الصين وفق مبدأ ننمو معًا أي أنها لا يمكن أن تنمو بدون أن يكون شركائها أقوياء وأن استقرار المنطقة يصب في استقرار الصين الاقتصادي والأمني وهو ما يجعل الصين عنصر هام في معادلة العلاقات الخارجية.

ولهذا تعمل الصين على إيجاد نوع من التوازن في علاقاتها بكل الدول العربية، إضافة الى علاقتها مع اسرائيل ورغم أنها تدعم القضية الفلسطينية إلا أنها تحتفظ بعلاقات استراتيجية جيدة مع إسرائيل، نظراً لأن سياستها قائمة على تعزيز مبدأ الثقة مع الجميع دون النظر الى خلافاتهم الشخصية فهي لا تنحاز لطرف على حساب طرف بقدر ما تسعى إلى كسب ثقة جميع الأطراف لتتمكن من تحقيق مراكز متقدمة في قائمة الدولة القوية سواء من الناحية الاقتصادية أو من زاوية التواجد العسكري والأمني خاصة في ظل الجمود الأمريكي بالمنطقة، الأمر الذى أتاح الفرصة للصين للعب دور أكبر وأكثر إيجابية، ولا شك أن التحول الذى يحدث فى بنية النظام الدولي والعربي يتيح أمام الصين مجالاً خصبا لانتهاج سياسة نشطة ولعب دور أكبر في المنطقة العربية.

وعلى الرغم من إظهار موسكو وبكين تفاهماً متبادلاً على المسرح العالمي قبل الأزمة الروسية الأوكرانية حيث يسعى كلاهما لكسر الهيمنة الغربية، إلا أن الهجوم الروسي على أوكرانيا أضعف مكانة روسيا فى منطقة الشرق الأوسط، لمصلحة الصين، ومنح الأخيرة مساحة للتنفس والانطلاق .

وتسعى الصين لبناء إطار جديد للأمن في الشرق الأوسط وتحقيق الأمن المشترك في المنطقة في سبيل تجاوز المأزق الأمني وفي سياق تنفيذ مبادرة الأمن العالمي التي طرحها الرئيس شي جين بينغ في إبريل ٢٠٢٢، كما تسعى إلى لعب دور أكبر في المنطقة من خلال دعوتها لمفهوم السلام التنموي والذي عبرت عنه في مبادراتها التي طرحتها على الصعيد العالمي، كمبادرة الحزام والطريق ورؤيتها لنزاعات الشرق الأوسط التي عبرت عنها في ورقة الصين بشأن سياستها تجاه الدول العربية والتي طرحها الرئيس الصيني العام ٢٠١٦ خلال زيارته لجامعة الدول العربية.

حيث يتجنب القادة الصينيون دوماً لعب أي دور في النزاعات السياسية أو الأمنية بين الدول العربية وإيران وإسرائيل. وهو ما تؤكده الوثائق الحكومية الصينية الإستراتيجية مثل " ورقة السياسة العربية " لعام ٢٠١٦ التي تدعم توجه بكين غرباً

بالاعتماد على الروابط الاقتصادية والمساعدة الإنمائية مع التقليل من أهمية أي دور آخر قد تلعبه الصين. ويتأرجح الخبراء الصينيون بين الحذر من المشاركة السياسية الأعمق في الشرق الأوسط والحرص على تعميق العلاقات مع مصدر مهم للنفط في وقت يتزايد فيه انعدام الأمن في مجال الطاقة خاصة عقب اشتعال الحرب الروسية الأوكرانية.

وتشير المبادرات الأخيرة إلى أن بكين ربما تتجه ببطء نحو المزيد من المشاركة السياسية فى المنطقة، حيث قدم وزير الخارجية الصيني وانغ يي اقتراحاً بشأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، والذي تم طرحه أثناء الحرب الاسرائيلية على غزة فى مايو ٢٠٢١، تحدث فيه عن مسائل استراتيجية جوهرية مثل حل الدولتين، وإقامة عاصمة فلسطينية في القدس الشرقية، وأهمية تحرك مجلس الأمن الدولي لحل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. لكنها من الوجهة العملية كلها نقاط عامة، تحث على الحوار، وتطالب بوضع حد لأعمال العنف ضد المدنيين.

ومن ثم تتجه الصين بقوة نحو قمة النظام الدولي، وذلك ترجمة لرؤية تبناها الحزب الشيوعي بتطوير الصين لتصبح دولة متقدمة متوسطة المستوى بحلول عام ٢٠٣٥، وإلى قوة عُظمى على مستوى الولايات المتحدة عام ٢٠٥٠.

قى سبتمبر ٢٠٢٢ طرحت الصين أربعة مقترحات لتعزيز السلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط وهي :

- ضرورة الالتزام بالمفهوم الجديد للأمن المشترك والمتكامل والتعاوني والمستدام خلال إقامة إطار أمني جديد في الشرق الأوسط، و التمسك بمفهوم الأمن المشترك والاهتمام بالهموم الأمنية المعقولة لكافة الدول بدلا من السعي وراء الأمن المطلق الأحادي الجانب.
- ضرورة التأكيد على المكانة القيادية لدول الشرق الأوسط خلال إقامة مثل هذا الإطار الأمني الجديد؛ فلا يوجد ما يُسمّى "فراغ السلطة" في المنطقة، بل يكون أبناء شعوب الشرق الأوسط سادة لمصير المنطقة ومستقبلها، مع التأكيد على أن الصين

تدعم مساعي دول الشرق الأوسط لإقامة إطار أمني يتناسب مع الظروق الواقعية للمنطقة ويراعي مصالح جميع الأطراف وبشكل مستقل.

- الالتزام بالمقاصد والمبادىء لميثاق الأمم المتحدة خلال إقامة إطار أمني جديد في الشرق الأوسط، حيث يجب تنفيذ كافة القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي بشأن حل القضايا الساخنة في المنطقة، خاصة تلك المتعلقة بالقضية الفلسطينية.
- ضرورة تعزيز الحوار الأمني الإقليمي خلال إقامة هذا الإطار الأمني الجديد، حيث تدعو الصين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي إلى استئناف مفاوضات السلام على أساس "حل الدوليتن" في أسرع وقت ممكن، وتناشد بعقد مؤتمر سلام دولي على نطاق واسع وبمصداقية أكثر تأثيرا؛ بغية الدفع بعملية حل القضية الفلسطينية بخطوات ملموسة..

٢. <u>البعدالأمني</u>

تواصل الصين بذل قصارى جهدها لعدم التورط في النزاعات المحلية فى المنطقة وتجنب مسار التصادم مع الولايات المتحدة، تاركةً واشنطن للتعامل مع القضايا الأمنية، و من المرجح أن تعزز الصين علاقاتها العسكرية مع تصاعد التوترات الإقليمية والدولية وتركز القوى الخارجية على التكيف السريع مع التغيرات الجيوسياسية الإقليمية والدولية، وتعد العلاقات العسكرية المتنامية للصين مع السعودية ومصروإيران والإمارات العربية المتحدة مهمين في فهم الديناميكيات الجيوسياسية الإقليمية الناشئة.

نظراً لأن الولايات المتحدة تركز الآن على الآليات والتحالفات والترتيبات الأمنية لاحتواء التطلعات الصينية في المنطقة، فقد يحد حلفاء واشنطن في الشرق الأوسط من التعاون العسكري مع الصين على مستوى ما في غضون ذلك ، ستواصل الصين مشاركتها بشكل أكبر في التدريبات البحرية المشتركة وتعزيز التعاون في العمليات الأمنية غير التقليدية مع الشركاء الإقليميين، حيث تؤمن بكين بفكرة السلام من خلال التنمية عبر تعزيز التصورات الأمنية المشتركة، والتي تختلف عن "التصور الأمني

التقليدي" بقيادة الغرب والذي يركز على السعي لتحقيق الأمن من خلال هزيمة العدو والحفاظ على تحالفات عسكرية حصرية .

ووسط الجمود السياسي والتحديات الأمنية في دول مثل العراق وسوريا واليمن ، من المرجح أن تقوم القوى الإقليمية بأدوار جديدة لتأمين مصالحها فعلى سبيل المثال تملأ القوات الإيرانية جزء من الفراغ الأمنى في سوريا، يمكن ملاحظة نمط مماثل فى العراق واليمن مع الميليشيات والجماعات التي تحارب بالوكالة وتنوي توسيع نفوذها على خلفية انسحاب الولايات المتحدة. ولا شك أن استجابة الصين لمثل هذه التغييرات الإقليمية سيكون لها دور فى تحديد ديناميكيات الأمن الإقليمي الناشئة.

وبدأت الصين تتجه نحو مشاركة أكبر، حيث ساهمت بأكثر من ١٨٠٠ جندي في بعثات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في المنطقة وحولها اعتباراً من عام ٢٠٢٠ (٤١٩ في لبنان، و ٣٧٠ في السودان، و ١٠٧٢ في جنوب السودان). كما شاركت البحرية الصينية في مهمات أمنية بحرية في بحر العرب وخليج عدن وأنشأت أول قاعدة عسكرية خارجية لها في جيبوتي في عام ٢٠١٧ .

قد تصب قدرة روسيا المتراجعة على بيع الأسلحة فى صالح بكين، التى تستعد لبيع طائرات بدون طيار متطورة بشكل متزايد لبعض الدول العربية. وقد تضاعفت صادرات الأسلحة الصينية إلى المنطقة تقريباً خلال العقد الماضي. كما أن عدم اهتمام بكين بمسألة الديمقراطية وحقوق الإنسان يجعلها شريكًا أكثر جاذبية، على العكس من الولايات المتحدة التى تربط دائماً خيوطًا سياسية بمبيعات الأسلحة، والمساعدات الاقتصادية وصناديق التنمية.

ومن ثم يعد الاقتصاد والتجارة والاستثمار هي نقاط ارتكاز فعل التوازن في بكين؛ مع ضرورة الحفاظ على أمن واستقرار المنطقة، ويصبح ذلك صعباً في غياب أي ترتيب أمني جماعي قوي وشامل، و يمكن للصين أن تكون أكثر حزماً وأن تستخدم أدواتها الاقتصادية والسياسية بشكل مباشر وغير مباشر من خلال التأثير على النخب القوية والحاكمة في المنطقة لحماية مصالحها الاستراتيجية عند الوصول إلى موقف صعب في عملية التوازن الدقيق.

ثانياً : تنامى الدور الصينى فى ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية الجديدة:

بينما تقلص الولايات المتحدة من وجودها في الشرق الأوسط، تكثف الصين مشاركتها الدبلوماسية والاقتصادية في المنطقة، وفيما يلى نتناول أبرز المتغيرات الإقليمية والدولية التى ساهمت فى تنامى الدور الصينى بالمنطقة

١. تراجع الدور الأمريكى فى المنطقة :

في عام ٢٠١١ ، شنت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تدخلاً عسكرياً في ليبيا أطاح بنظام القذافي، إلا أن عدم استعداد الغرب لإدارة التداعيات في ليبيا منح الفرصة لموسكو للتواجد فى ليبيا ثم التدخل العسكري غير المتوقع في سوريا عام ٢٠١٥ ومساعدة نظام الأسد على استعادة السيطرة على معظم أنحاء البلاد، كما أدى حدثان في أواخر ٢٠١٩ إلى تسريع تراجع الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط، الحدث الأول هو قصف صواريخ إيرانية منشآت نفطية تابعة لشركة أرامكو السعودية، كان من المفترض أن تشن الولايات المتحدة رداً عسكرياً على نطاق واسع، إلا أن إدارة ترامب لم تفعل شيئًا.

أما الحدث الثانى الهام فهو إعلان ترامب انسحاب القوات الأمريكية من سوريا، وفى خطوة رمزية تحركت القوات الروسية بسرعة لاحتلال القواعد الأمريكية التي تم إخلاؤها، وقد زاد الانسحاب الأمريكي من تمدد روسيا وإيران، ودفع حلفاء الولايات المتحدة إلى إعادة التفكير في اعتمادهم على واشنطن، وفى نهاية عام ٢٠١٩ أجرت روسيا وإيران والصين أول مناورات بحرية مشتركة في خليج عمان، وهو امتداد للمحيط يسيطر عليه تقليدياً الأسطول الخامس للولايات المتحدة وهو مهم لتدفق النفط العالمي.

٢. الحرب الروسية الأوكرانية :

امتنعت الصين عن التصويت في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لإدانة الغزو الروسي لأوكرانيا ، مشيرة إلى أنه على الرغم من وقوفها إلى جانب موسكو في حربها ضد الهيمنة الأمريكية ، إلا أنها لن تتدخل،و يبدو أن الشرق الأوسط سيبقى

على الأقل في الوقت الحالي خارج الصدام بين القوتين العظميين، لكن الوضع يمكن أن يتدهور بسرعة إذا أوفت إيران بهدفها طويل المدى بامتلاك أسلحة نووية.

حيث تعيد الحرب في أوكرانيا تنظيم المواقف بين الصين والشرق الأوسط، فقد أدت الحرب إلى وجود المزيد من القواسم المشتركة بين الصين ودول رئيسية في الشرق الأوسط، وأظهرت المزيد من التقارب بينهما في مواقف مختلفة، بدافع من الإحباط المشترك مع الولايات المتحدة، ووجدت الصين وشركاؤها في الشرق الأوسط أنفسهم في نفس الجانب في كثير من الأحيان فيما يتعلق بالصراع الروسى الأوكرانى، والدليل على هذا التوافق موجود في سجلات التصويت لثلاثة قرارات صادرة عن الأمم المتحدة.

في ٢٦ فبراير ٢٠٢٢ صوت مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على قرار يطالب موسكو بوقف هجومها على أوكرانيا على الفور وسحب جميع القوات، وامتنع ثلاثة أعضاء من مجلس الأمن عن التصويت، من بينهم الصين والهند والإمارات العربية المتحدة، وفي ٢ مارس ٢٠٢٢ صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة على اقتراح يدعو لإنهاء فوري للأعمال العدائية، وكانت الصين وإيران والعراق من بين ٣٥ دولة امتنعت عن التصويت، وفي ٧ أبريل ٢٠٢٢، تبنت الجمعية العامة قراراً بتعليق عضوية روسيا في مجلس حقوق الإنسان، هذه المرة، امتنعت قائمة أطول بكثير من دول الشرق الأوسط عن التصويت ، بما في ذلك مصر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والأردن وقطر والكويت والعراق، وكانت الصين وإيران وسوريا من بين الدول التي صوتت ضد القرار.

حيث أضافت الحرب في أوكرانيا درجة أخرى من عدم اليقين لعلاقة واشنطن بالشرق الأوسط، فإدارة "بايدن" منقسمة بين التركيز على منطقة المحيطين الهندي والهادئ ودور أمريكا في المسرح الأوروبي، وبين الصين الصاعدة وروسيا المتحاربة، وهذا يضع الولايات المتحدة في مأزق: هل لديها الموارد والإرادة السياسية للبقاء منخرطة بشكل كامل في الشرق الأوسط؟ إذا كانت الإجابة بالنفى فستواجه

المنطقة الكثير من الشكوك وسط فراغ محتمل في السلطة، لا يوجد بلد في وضع أفضل من الصين لملء هذا الفراغ، فقد عززت بكين انخراطها في المنطقة على مدى عقد من الزمان وارتفعت المشاركة الدبلوماسية، ففي عام ٢٠٢١ ، قام وزير الخارجية الصيني بزيارة الشرق الأوسط مرتين ، وتوقف في تسع دول،وفي يناير ٢٠٢٢، استضافت الصين الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي ،وكذلك وزراء خارجية السعودية والبحرين والكويت وعمان وتركيا.

٣. استراتيجية بكين "الموازنة الدقيقة"

وسط التوترات الجيوسياسية الإقليمية المتصاعدة والديناميكيات الأمنية المتغيرة في الشرق الأوسط ، تعزز بكين جهودها لتوسيع العلاقات الاقتصادية مع القوى الإقليمية وإقامة شراكات استراتيجية شاملة مع العالم العربي. يمكن القول أن الصين تسير بحذر على حبل مشدود في المنطقة لتحقيق التوازن بين المنافسين الإقليميين. ومع ذلك ، من المرجح أن يؤدي وجودها المتزايد في المنطقة إلى دفع بكين إلى مشاركة أوسع في نهاية المطاف، خاصة وأن الترتيبات الأمنية الإقليمية الناشئة تمهد الطريق لتحديات جديدة من شأنها زيادة دور القوى الإقليمية وسط انسحاب الولايات المتحدة من المنطقة.

استطاعت بكين من خلال سياستها الخارجية المتمثلة في الموازنة بين الخصمين وزيادة التعددية أن تعمق علاقاتها مع الشرق الأوسط. أثناء الانخراط في المنطقة ، ركزت الصين على المصالح المشتركة، وخاصة التعاون الاقتصادى وحافظت على موقف بعيد عن نقاط الضعف المباشرة للصراعات التي طال أمدها، ولكن من المتوقع الآن ظهور تحديات جديدة حيث من المرجح أن يتغير الترتيب الأمني وتوازن القوى في المنطقة اعتماداً على عدة عوامل ، لا سيما مستقبل المحادثات النووية مع إيران.

فى نفس الوقت الذى عززت فيه الصين علاقاتها مع إيران زادت أيضًا من التعاون الاقتصادي مع خصوم إيران في الشرق الأوسط ، بما يتماشى مع استراتيجية بكين للموازنة الدقيقة. فقد عمقت الصين علاقاتها الاقتصادية مع دول الخليج الأخرى مثل

المملكة العربية السعودية والإمارات والبحرين وقطر والكويت وسلطنة عمان، وخاصة في أعمال البنية التحتية والاتصالات والتكنولوجيا والطاقة ، وجميع المجالات المرتبطة بمبادرة الحزام والطريق الصينية الطموحة.

٤. العلاقات مع إيران

مع استمرار وصول المحادثات النووية إلى طريق مسدود ركزت أجندة السياسة الخارجية الإيرانية إلى حد كبير على تعزيز "محور المقاومة"، الذي يعد الدعم الصيني أمراً حيوياً له. مع محدودية الخيارات أمام إيران لدخول سوق الطاقة الدولية وسط العقوبات الأمريكية المتزايدة، يتم تصدير غالبية كبيرة من النفط الإيراني إلى الصين. من جهتها قدمت الصين دعماً دبلوماسياً حاسماً في المحادثات النووية الإيرانية ودعمت عضوية إيران في المنظمات الإقليمية مثل منظمة شنغهاي للتعاون، كما شاركت الصين أيضاً في مناورات بحرية مشتركة مع إيران وروسيا في خليج عمان في أوائل عام ٢٠٢٢، فى استعراض للقوة ضد الغرب وسط تصاعد التوتر الإقليمي.

خلال السنوات الأخيرة عززت الصين تعاونها مع إيران ونوعت العلاقات الثنائية من خلال اتفاقية تعاون مدتها ٢٥ عاما، أبرمتها بكين مع طهران فى ٢٠٢١ وبموجبها تقوم الشركات الصينية باستثمار ١٦ مليار دولار تقريباً سنوياً في إيران لتحقيق الهدف بينما على سبيل المقارنة بلغ إجمالي استثمارات الصين في إيران ٤,٧ مليار دولار من ٢٠٠٥ إلى ٢٠٢٠.

خاتمة

مجمل القول إن استراتيجية الصين فى منطقة الشرق الأوسط تقوم على التأكيد علي التنمية كحل لمشكلات المنطقة وتطبيق نموذج تنموى يحتذى به، والتركيز على الشراكة وليس التحالفات، وإدراك حقيقة هامة مفادها : كلما زادت الصين من دورها في المنطقة العربية ومحيطها الإقليمى كلما زاد تأثيرها العالمي، هذا ما تسعى الصين لتحقيقه بكل إمكانياتها وقدراتها، كما أن التغير الهائل الذى أحدثه الحرب الروسية الأوكرانية فى موازين القوى الدولية، بالتزامن مع تواجد اقتصادى صينى متزايد أدى

إلى انخراطها على نطاق أوسع مع دول المنطقة بطرق قد تؤثر بشكل كبير على المصالح الأوروبية والأمريكية، وهو ما ينبئ بتغييرات كبيرة فى التنافس الدولى والإقليمى على المنطقة خاصة مع أفول نجم القارة الأوربية العجوز وتراجع الهيمنة الأمريكية إذا أضفنا لكل ذلك انطلاق مشروع الحزام والطريق نجد أن بكين ستصبح عاجلاً أم آجلاً القوة الأكثر تأثيراً في السياسات الإقليمية والعالمية.

فلا تزال دبلوماسية الصين تتجنب المخاطرة و تم توجيه هذه المحافظة على "الظهور المنخفض" من قبل دنغ شياو بينغ في عام ١٩٧٨ بسياساته "الإصلاح والانفتاح" ، وهي عملية دمج الصين لأول مرة في النظام الدولي، يظهر هذا الظهور المنخفض أيضًا في المجال العسكري، على الرغم من أن قدرتها العسكرية آخذة في النمو، إلا أن الصين غير قادرة إلى حد كبير على إبراز قوتها خارج المنطقة الآسيوية (بخلاف الصواريخ الباليستية وبرنامج الفضاء وقدرات الحرب الإلكترونية)، حيث تحاول الصين تجنب النزاعات الدولية، أو تجميدها أو تهدئتها عند نشوئها ، ولهذا تشارك الصين بشكل كبير في شؤون الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة في حين أن مشاركتها الاقتصادية موضع ترحيب من قبل الأطراف الإقليمية، فإن المخاوف السياسية والأمنية تخلق عقبات أمام اعتبار الصين قوة عالمية مركزية في الشئون الإقليمية في الشرق الأوسط.

المراجع والمصادر

أولا: المصادر باللغة العربية :

١. وزير الخارجية الصيني يدعو لإقامة إطار أمني جديد في الشرق الأوسط- وكالة الأنباء الأرنية بترا، ٢٠٢٢/٩/٢١، متاح علي الرابط: https://petra.gov.jo/Include/InnerPage.jsp?ID=224588&lang=ar&name=news

٢. الصين القوة الجديدة فى الشرق الأوسط – إياد القطراوى – مجلة البيان – ٢٠١٧/١٠/٢، متاح علي الرابط: https://www.albayan.co.uk/article2.aspx?id=5993

٣. عقد ندوة بشأن تعزيز التعاون الصيني-العربي عبر الابتكار- وكالة شينخوا الصينية للأنباء – ٢٠٢٢/٩/٢٨، متاح علي الرابط: https://arabic.news.cn/20220928/8aeda3370e5b40b7b419d8ed2ef82149/c.html

٤. وزيرا خارجية الصين ومصر يلتقيان على هامش الدورة الـ٧٧ للجمعية العامة للأمم المتحدة – وكالة شبنخوا الصينية للأنباء – ٢٠٢٢/٩/٢٦، متاح علي الرابط: https://arabic.news.cn/20220926/c2a78431d09d42f599ea2c3b925d75da/c.html

٥. فى أعقاب زيارة بيلوسي لتايوان لماذا يدعم الخليج مبدأ "الصين الواحدة" في أزمة تايوان – الإمارات اليوم، ٢٠٢٢/٨/١٨، متاح علي الرابط: https://www.emaratalyoum.com/politics/reports-and-translation/2022-08-18-1.1660122

ثانيا المصادر باللغة الانجليزية :

1. The Impact and Implications of China's Growing Influence in the Middle East- Nadeem Ahmed Moonakal- The Diplomat July 09, 2022 ,available at: https://thediplomat.com/2022/07/the-impact-and-implications-of-chinas-growing-influence-in-the-middle-east/
2. China's growing economic impact on the Middle East- GIS reports- APRIL 21, 2022-, available at: https://www.gisreportsonline.com/r/china-middle-east/
3. China's Growing Role in the Middle East- Carnegie Endowment for International Peace. - May 11, 2022, available at:- https://carnegieendowment.org/2022/05/11/china-s-growing-role-in-middle-east-
4. China won't Replace the U.S. in the Middle East , Foreign policy- JULY 20, 2022 , available at:https://foreignpolicy.com/2022/07/20/china-us-middle-east-relations-hegemon-saudi-
5. GIDEON RACHMAN, Financial Times End of the American era in the Middle East, DECEMBER 30 2019, available at: https://www.ft.com/content/960b06d0-2a35-11ea-bc77-